ألف حكاية وحكاية (٤٦)

يعقوب الشارونى

الفيضان والكنز

وحكايات أخرى



مكتبة مصر

ألف حكاية وحكاية (٤٦)

الفيضان والكنز

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رســوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر

الملك والقرد

يُحكَى أن ملِكًا كـانَ يحكمُ بلادًا واسعةً غنيـةً، لكـن بعضَ مَنْ حولَه أشارَ عليه أن يضمَّ إلى مملكتِهِ دولةً صغيرةً، كانَتْ قريبةً من مملكتِهِ.

خرجَ الملكُ علـى رأسِ جيشِـهِ، ليستولِيَ علـى تلـك الدولـةِ الصغيرةِ.

وعند الظهرِ، وصلوا إلى غابةٍ، فعسكروا فيها.

وأطعَمَ الرجالُ خيولَهم، وقدموا لهـا الفـولَ السـودانِيَّ علفًا. وشاهدَ أحدُ قرودِ الغابةِ ذلك الطعامَ الشهِيَّ، فنزلَ من فـوقِ شجرتِهِ، وملأ يدَيْهِ بالفولِ، ثم صَعِدَ إلى الشجرةِ وجلسَ ليأكلَ.

لكن قبلَ أن يبدأ القردُ فى الأكـلِ، سقطَتْ واحـدةٌ من الفولِ الذى معه على الأرضِ. وفى الحالِ، تركَ القردُ كـلَّ ما معه من فولٍ فى تجويفٍ بالشجرةِ، ونزلَ يبحثُ عن حبةِ الفولِ التى اسقطَتْ منه.

وقبلَ أن يعودَ، كـانَتِ بقيةُ القـرود قـد تجمَّعَـتْ بسـرعةٍ فـوقَ الشجرةِ، والتهمَتْ كلَّ الفولِ الذى تركَهُ القردُ الطمَّاعُ، ولم يبقَ لـه شىءٌ.

كانَ الملكُ يلاحظُ القردَ، فقالَ لنفسه:

" لـن أفعلَ مثلَ ذلك القردِ الأحمقِ، الذى فقدَ الكثيرَ وهـو يُحاوِلُ أن يحصلَ علـى القليلِ. سأعودُ إلى مملكتى، ويكفينـى أن أتمتَّعَ بما عندى !"



أثمن من حياته

غادرَ فلاحٌ قريتَهُ ، وهو يسوقُ عربةً يجرُّها حصانانِ ، وانطلقَ فى طريقِهِ إلى المدينةِ القريبةِ ، ليبيعَ منتجاتِ أرضِهِ. وأمامَ أحدِ المخازنِ، أرادَ التوقُّفَ لتفريغِ حمولةِ العربةِ ، لكن شيئًا لم يفهمْهُ أصابَ الخيلَ بالجنونِ ، فأخذَتْ تجرى هنا وهناك.

وأسرعَ الفلاحُ يمسكُ بعنانِها ، لكنها سحبَتْهُ خلفَها وسطَ الشارعِ بين هلعِ المارةِ وصراخِهم. وامتلأ جسمُه بالجراحِ قبل أن يتمكَّنَ المارةُ من نجدتِهِ.

وعندما تمكَّنوا أخيرًا من إيقافِ الحصانَيْنِ الهائجَيْنِ ، وجدوا الرجلَ يلفظُ أنفاسَهُ الأخيرةَ.

وانحنى فوقَهُ أحدُ الأشخاصِ يسألُهُ:

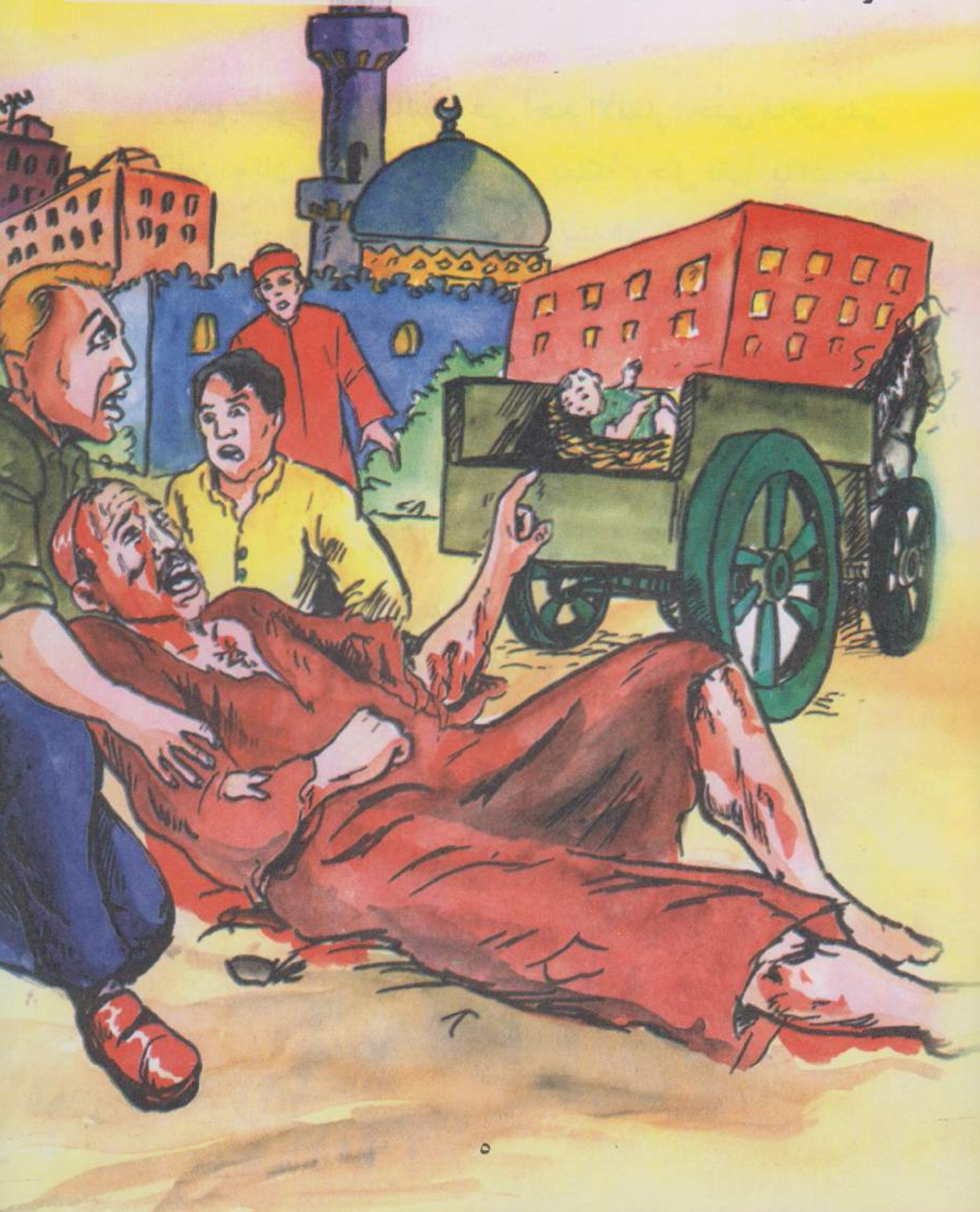
"ما الذى جعلَكَ تُضحِّى بحياتِكَ على هذا النحوِ ؟! كان يجبُ أن تتركَ الحصانَيْنِ وشأنَهما ، فليسَتِ العربةُ أغلى من حياتِكَ !!"

هنا أشارَ الفلاحُ فى ضعفٍ شديدٍ إلى العربةِ ، وقالَ وهو يلفظُ آخرَ أنفاسِهِ:

"انظرْ ماذا يوجَد بداخلِها !"

وقامَ الرجلُ ليُطِلَّ داخلَ العربةِ ، وكم كانَتْ دهشتُهُ عندما وجدَ بداخلِها طفلاً فى الثالثةِ من عمرِهِ، ينامُ على فراشٍ من القشِّ!!

عندئذٍ عرفَ الواقفون أن الفلاحَ قامَ بهذه التضحيةِ العظيمةِ ، ليفتدِيَ ولدَهُ، ويمنعَ انقلابَ العربةِ ، حفاظًا على حياةِ ابنِهِ الطفلِ وسلامتِهِ.



الفيضان والكنز

ارتفعَ مستوى سطحِ المـاءِ فى أحدِ الأنهارِ ، حتَّى فاضَ علىَ الشاطئَيْنِ ، وكان هناك بيتٌ من الطِّينِ يملكهُ رجلٌ فقيرٌ، فاكتسحَتْهُ المياهُ وهدمَتْهُ ، ووقفَ الرجلُ ينظرُ إلى بيتِهِ فى ألمٍ وحسرةٍ.

وبعدَ انتهاءِ الفيضانِ ، ذهـبَ الرَّجلُ ليُلقِيَ نظرةً على المكانِ الَّذى كانَ فيه بيتُهُ ، فوجدَ الماءَ قد حملَ كلَّ شىءٍ ، بعد أن حفر تيارُ الماءِ الشديدُ مجرًى عميقًا فى " أرضية البيتِ".

وفى قاعِ ذلك المجرى ، شاهدَ الرجلُ شيئًا يلمعُ ، فاتجهَ ناحيتَهُ .

وبعد قليلٍ من التأمُّلِ ، عرفَ أن هذا الشىءَ اللامعَ لم يكنْ إلا عددًا كبيرًا من العملاتِ الذهبيةِ ، كان والدُه قد أخفاها فى "أرضيةِ البيتِ" ، وماتَ قبلَ أن يُخبِرَ ابنَهُ عن مكانِها.

كانَ الرجلُ يحكى هذه الحكايةَ ويقولُ:

"وهكذا فإن اليومَ الذى ظَنَنْتُهُ أسوأ الأيامِ ، أصبحَ بدايةً لأيامِ السعادةِ والرخاءِ ، لذلك لا يجبُ أن نتعجَّلَ فى الحكمِ على ما يقعُ لنا من أحداثٍ."



يعرف قدر نفسه

مرَّ حاكمٌ عربىٌّ بأعرابيةٍ، فعرضَتْ عليه عنزةً للبيعِ ، فقالَ لابنِهِ :
"كم معك من الدنانيرِ ؟"
فأجابَ الابنُ: " كل ما معى ثمانُمائةِ دينارٍ"
" فقالَ الأبُ: "ادفعْها كلَّها للأعرابيةِ."

فقالَ الابنُ: "يا أبى .. كيف نواصلُ سَيْرَنا ولا مالَ معنا ؟! هذه المرأةُ لا تعرفُكَ ، ويُقْنِعُها القليلُ".

فقالَ الأبُ: "إن كانَتْ هى ترضَى بالقليلِ ، فأنا لا أرضى إلا بالكثيرِ . وان كانَتْ لا تعرفُنى ، فأنا أعرفُ قدرَ نفسى .. ادفَعِ المالَ إليها."





لن أبيع حصانًا أصيلاً لجزار

ذاتَ يومٍ، شاهدَ أحدُ الأغنياءِ حديقةً كبيرةً جميلةً من حدائقِ أشجارِ الفاكهةِ. وعلى بابِ سورِها قطعةُ خشبٍ مكتوبٌ عليها "للبيع"، فدخَلَ وقالَ لصاحبِها إنه يريدُ أن يشترِيَها، ليتَّخذَها مكانًا يقضى فيه أيامَ العطلاتِ والإجازاتِ، فليس عنده وقتٌ ليستغلَّها ويستفيدَ بثمنِ فاكهتِها.

فقالَ الفلاحُ الشيخُ: " لقد قرَّرْتُ حقًّا أن أبيعَها ، بعد أن جاهدْتُ أربعينَ سنةً لأجعلَها حديقةً مُثمرةً ، تجنى منها الأسرةُ رزقًا كريمًا، ولكن لن أبيعَها لك!"

وفى دهشةٍ شديدةٍ ، قالَ الرجلُ الغنِىُّ: "ولماذا ترفضُ بَيْعَها لى؟! "

قالَ الفلاحُ الشيخُ : "قد يكونُ من الصعبِ عليك أن تفهمَ عُذْرِى ، لكننى أرى أننى لو بعْتُها لك، وأنتَ لا تنوى أن تواصلَ الاهتمامَ بثمارِ أشجارِها ، فإنه مهما بلغَ مقدارُ المالِ الذى تدفعُهُ لى، فإننى سأصبحُ مثلَ مَنْ يبيعُ حصانًا عربيًا أصيلاً من جيادِ السباقِ، لجزارٍ !! "


للبيع

أغضب القرية كلها

دخـلَ ذئـبٌ إحــدى القــرى ، وعندمــا رآه أهلُهــا ، أســرعوا يطاردونه مع كلابِهم، فانطلقَ الذئـبُ يجرى لينجـوَ بحياتِـهِ ، إلى أن وصلَ قريةً أخرى، فدخلَها يبحثُ فيها عن مخبأ.

رأى الذئبُ قطةً جالسةً فوقَ شجرةٍ، فقالَ لها وقد أرهقَهُ التعبُ والخوفُ: "صديقتى القطةَ ... أخبرينى بسرعةٍ .. هل أجدُ هنا فلاَّحًا رحيمَ القلبِ يعطفُ علىَّ ؟ إن الكلابَ خلفى، ولا بدَّ أن أختفِىَ فى أحدِ البيوتِ ."

قالَتِ القطةُ: " اذهبْ سريعًا واختبئْ فى بيتِ العمِّ زهران، فهو مشهورٌ بالشفقةِ. "

أجابَ الذئبُ: " العمُّ زهران ؟! .. لا .. لا .. إنه غاضبٌ منى ، لأننى سرقْتُ منه خروفًا."

قالَتِ القطةُ : "إذن جرِّبْ بيتَ العمِّ عتريس .. إنه رحيمٌ طيبٌ."

أجابَ الذئبُ : " قد يكونُ رحيمًا طيبًا ، لكنى سلبْتُ منه عنزةً فى الأسبوعِ الماضى."

قالَتِ القطةُ: " إنك فى موقفٍ سيِّئٍ .. لكن قد يستطيعُ العمُّ شعبان أن ينقذَك ... أسرِعْ واختبِئْ فى بيتِهِ. "

أجابَ الذئبُ: " لا.. لا.. لا أجرؤ على الاقترابِ من بيتِ العمِّ شعبان .. لقد قتلْتُ له عجلاً منذ شهرٍ . "

هنا صاحَتِ القطةُ فى غيظٍ : " إذا كنْتَ قد أغضبْتَ القريةَ كُلَّها،
فلا أملَ فى أن تجدَ هنا مَنْ يُساعِدُكَ . "



تضحية قائد

اشتدَّتِ الحربُ بين دولتَيْنِ متجاورتَيْنِ، واستطاعَتْ إحداهما أن تغزُوَ جزءًا كبيرًا من أرضِ الدولةِ الأخرى.

وفي إحدى المعاركِ، اضطرَّ جيشُ الدولةِ المهزومةِ إلى الانسحابِ.

وجلسَ الجنودُ عند شاطئِ نهرٍ ليستريحوا، ويُضمِّدوا جراحَهم.

وفجأةً لمحَ قائدُهم فرقةً من الأعداءِ تقتربُ من بعيدٍ، فأمرَ جنودَهُ أن يُسرِعوا بعبورِ النهرِ، والاختباءِ على الضفَّةِ الأخرى. وكانَ النهرُ ضحلاً قليلَ العُمْقِ.

وظلَّ هو جالسًا حتى وصلَ إليه الأعداءُ.

وعندَما سألَهُ قائدُ الغزاةِ عن مدى عمقِ النهرِ، أجابَ القائدُ الوطنِيُّ:

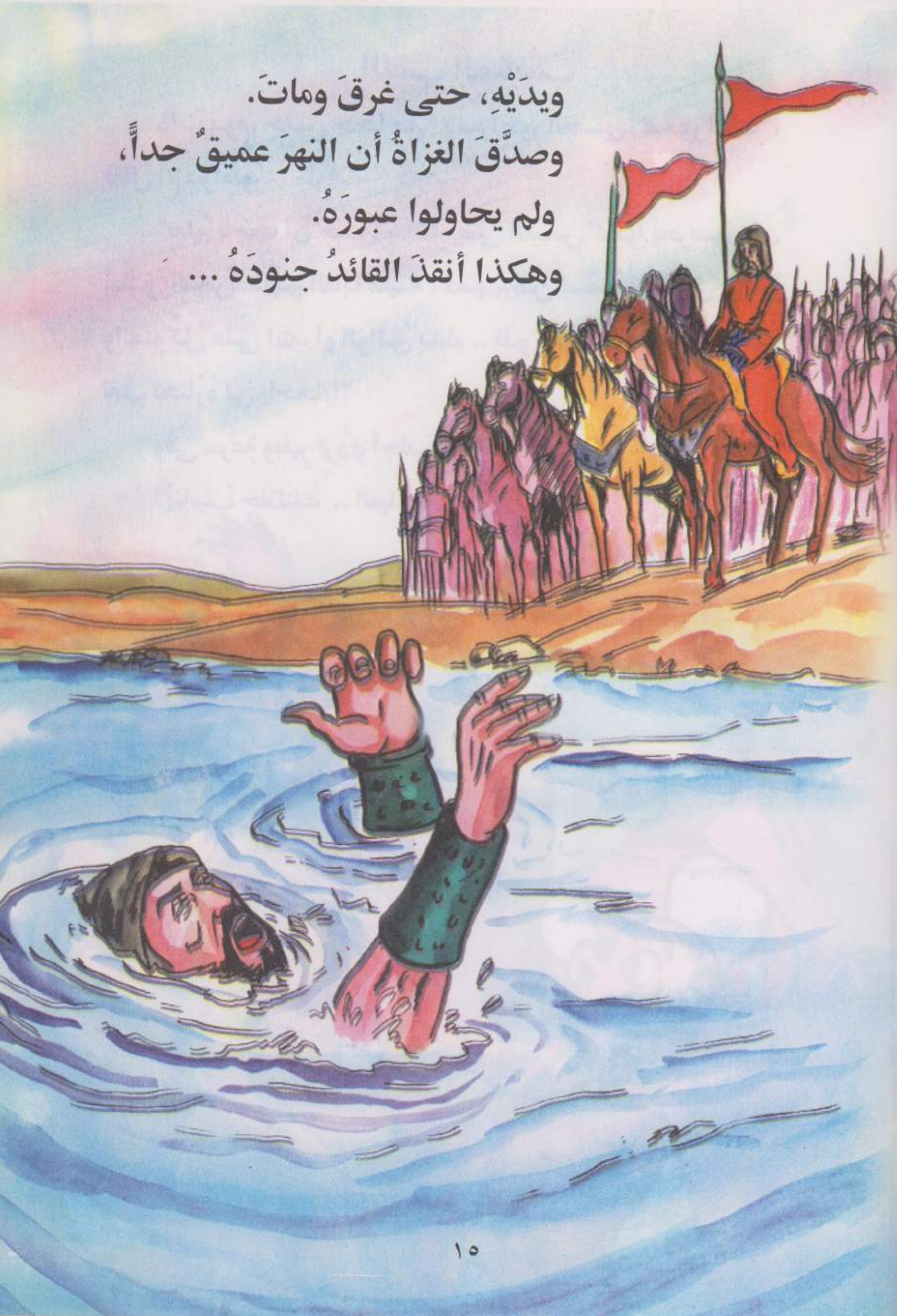
" إنه عميقٌ جدًّا."

لكنَّ القائدَ المُعتدِيَ لم يصدِّقْهُ، وأمرَهُ بأن يعبرَهُ أمامَهم.

سارَ القائدُ الوطنِيُّ في النهرِ، حتى بلغَتِ المياهُ صدرَهُ. وكان ذلكَ أقصى عمقٍ في النهرِ.

ثم بدأ يثنِي ركبتَيْهِ قليلاً قليلاً وهما تحتَ الماءِ، ليوهمَ الغُزاةَ بزيادةِ عمقِ النهرِ.

واضطرَّ أخيرًا إلى أن يغوصَ تحتَ الماءِ ، ويسيرَ على ركبتَيْهِ



ويدَيْهِ، حتى غرقَ وماتَ.
وصدَّقَ الغزاةُ أن النهرَ عميقٌ جداً،
ولم يحاولوا عبورَهُ.
وهكذا أنقذَ القائدُ جنودَهُ ...

اللقب المناسب

ذاتَ يومٍ، جلس جحا مع الإمبراطورِ القاسى "تيمور لنك"، فقالَ الإمبراطورُ:

"تعلمُ ياجحا أن جميعَ خلفاءِ بنى العباسِ كانوا يحرصون أن يُطْلِقَ الناسُ عليهم ألقابًا معينةً ، فمنهم من اسمُهُ الموفَّقُ باللهِ، والمتوكِّلُ على اللهِ، أو الواثقُ باللهِ .. فلو كنْتُ أنا أحدَهم، فأىَّ لقبٍ تختارُهُ لى ياجحا؟!"

وفى سرعةٍ وبغيرِ تردُّدٍ أجابَ جحا:

"يُناسِبُ جلالتَكَ .. العياذُ باللهِ !!"

بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها ، من الأدب الشعبى ، والعربى القديم ، والعالمى.



صدر من هذا السلسلة



دار مصر للطباعة